ديناميكيات التحرك الروسي تجاه أوكرانيا وانعكاس تأثيره على النظام الدولي (مقاربة جيوبوليتيكية)

الدكتور فراس عباس هاشم
باحث في الشؤن الاستراتيجية والدولية

الملخص:
تبحث هذه الدراسة في مدى تأثير المقاربات الجيوبوليتيكية في تحديد نمط وسلوك التحركات الروسية وتصوراتها تجاه جوراها الإقليمي المباشر وإعادة تأهيل حدودها الحيوية بما ينسجم مع التوجهات الاستراتيجية الروسية لدرءً مخاطر الضغوطات الخارجية وحماية أمنها القومي من التهديدات المحيطة بها. كما تستجلى الدراسة التخوفات الجيوبوليتيكية الروسية وهاجس تطويقها في النطاقات الأرضية القريبة بما فيها الفضاء الأوكراني، ثم تقف الدراسة في بيان مدى تأثير مساعي روسيا في التوسع المكاني بهدف إعادة تعريف مجالاتها الحيوية مدفوعة إلى حد كبير بالمخاوف الأمنية وانعكاس تلك التطورات من دون أدنى شك في رسم معالم الانتقال في النظام الدولي.
كلمات مفتاحية : روسيا، أوكرانيا، حلف شمال الأطلسي، الجيوبوليتيك، النظام الدولي .

Abstract:
This study examines the extent of the impact of geopolitical approaches in determining the pattern and behavior of Russian movements and their perceptions towards its immediate regional neighbourhood, and the rehabilitation of its vital borders in line with Russian strategic directions to ward off the dangers of external pressures and protect its national security from the threats surrounding it. The study also clarifies the Russian geopolitical fears and the obsession of encircling them in the near terrestrial ranges, including the Ukrainian space. Transition in the international system.
Keywords: Russia, Ukraine, NATO, Geopolitics, the international system.

المقدمة

مما لاشك فيه كشفت تطورات الأحداث التي اتسمت بها التحركات الروسية تجاه أوكرانيا وما نتج عنها من تغييرات في المشهد الجيوبوليتيكي الإقليمي في مدى تأثير المقاربات الجيوبوليتيكية في تحديد نمط وسلوك التحركات الروسية وتصوراتها تجاه جوراها الإقليمي المباشر والتي تهدف إلى إعادة تأهيل حدودها الحيوية بما ينسجم مع التوجهات الاستراتيجية الروسية لدرءً مخاطر الضغوطات الخارجية وحماية أمنها القومي من التهديدات المحيطة بها، ويتجلى ذلك بهوية تعكس مصالحها من خلال الاستثمار بشواهد الاستثناءات التاريخية وتغليفها بالمقدس الديني والاجتماعي والثقافي .

ومن هذا المنطلق بدا الاهتمام الروسي حيال الفضاءات الجغرافية القريبة كونها ذات مزايا جيوبوليتيكية تشتمل على سرديات قيمية وثقافية تربط الحاضر والماضي ويجعل منها شيء يجد طريقة العملي على نحو مترابط بالمظهر الجغرافي تجاه النطاقات الجيوبوليتيكية ذات الصلة بمساحات النفوذ الروسية، وهو الأمر الذي يمكن ترجمته بالتطورات والأحداث التي رافقت تلك التفاعلات الروسية مع فضاءاتها الإقليمية والعمل على ايضاح أهدافها الاستراتيجية لضمان مصالحها بل صارت مقترنه بتسويغ تدخلها الخارجي.

وفي هذا الصدد كانت التخوفات الجيوبوليتيكية الروسية تنطلق من هاجس تطويقها في النطاقات الأرضية القريبة بما فيها الفضاء الأوكراني، تحايثها حسابات سياسية وعسكرية واقتصادية وحضارية في آن واحد، وبالتالي ساعد ذلك على بلورة مقاربات كانت بمثابة دافع لبيان مدى تأثير مساعي روسيا في التوسع المكاني وأوكرانيا جزء منها، بهدف إعادة تعريف مجالاتها الحيوية مدفوعة إلى حد كبير بالمخاوف الأمنية، ولذلك تعطي هذه التطورات آثار خطرة وما تثيره من مخاوف مأزومة من جراء تطورها، والتي تؤدي إلى إيجاد حقائق جديدة بانعكاس أثر التحولات وحدود التغيير في القوة إلى رسم معالم الانتقال في النظام الدولي.

وبناء على ذلك جاءت **أهمية هذه الدراسة** محاولة في فهم وتركز على التحولات التي طرأت على التحركات الروسية وتشكيل تفضيلاتهم الاستراتيجية وفق ما تمليه المقاربات الجيوبوليتيكية بصفتها أداة موضوعية توسم الروية لهوية روسيا المتجذرة في التاريخ الحضاري لناحية الاتجاه نحو جوارها الجغرافي بما فيها أوكرانيا والذي أخذ أدركا واع لفعلها الإقليمي عموماً بسبب ما تمتلكه من مقومات القوة وكيفية توظيفها لتحقيق أهدافها .

وتنطلق **إشكالية الدراسة على صيغة تساؤلات** حول: " ما طبيعة الرؤي بعقدها ومركباتها التي أطرت التوجهات الروسية المضمرة تجاه أوكرانيا، وما أبعاد حساباتها الجيوبوليتيكية على المستويين الإقليمي والدولي، وانعكاسات كل ذلك في رسم معالم البيئة الدولية ". .

وبالتالي ممكن طرح **فرضية للدراسة مفادها** :" تشكل المقاربات الجيوبوليتيكية دافعا في تحديد توجهات وروسيا ورسم سلوكياتها تجاه جوارها المحيط، مقترنه باستدامة لنتاج حضارة حاكمة شكلها ميراثها التاريخي، ومثلت أوكرانيا مساحة تأثير جيوبوليتيكية تتمتع بديناميكية مركزية في تحقيق مصالح روسيا وأهدافها القومية، انعكست حدة ذلك على هيكلية النظام الدولي ".

إما **منهجية الدراسة** يفرض علينا تناول هذا الموضوع إتباع أكثر من منهج بحسب اقتضاء الضرورة، فقد استخدم المنهج الوصفي خلال دارسة طبيعة التحولات التي تشهدها التوجهات الجيوبوليتيكية الروسية على صعيد الفاعلية الاستراتيجية في سلوكها بالتعاطي مع دول الجوار الجغرافي المحيطة بها ومنها أوكرانيا كمجال جيوبوليتيكي وما يطبعها من تحركات تعزز أدواتها المختلفة في الردع الاستراتيجي. كما جرى توظيف المنهج الاستقرائي لفهم رهانات التحرك الروسي للتأثير في مساحات التنافس الجيوبوليتيكية في ظل تنامي مدركات التهديد للمخاطر التي سببها توسع حلف شمال الأطلسي بمجالاتها الجغرافية الحيوية، وما يصاحب تلك التفاعلات من انعكاسات في النظام الدولي .

واتساقاً مَع ما تقدم سيتم **توزيع هيكلية الدراسة** إلى ثلاث محاور يشمل المقدمة والخاتمة. يركز المحور الأول : روسيا وإحياء المقاربات الجيوبوليتيكية كمظهر لحركية المجال الجغرافي. أما المحور الثاني يتناول : خرائط التصورات الروسية لبناء الجغرافية التاريخية وفضاءاتها. فيما تَناول المحور الثالث : اتجاهات تأثير محاور النمو الروسي وسياقاتها على النظام الدولي.

المحور الأول
روسيا وإحياء المقاربات الجيوبوليتيكية كمظهر لحركية المجال الجغرافي

من نافلة القول يتفق المختصون على أن علم الجيوبوليتيكا(Geopolitical) بعمومه يذهب إلى دراسة الدول في محيطها الحيوي أو السياسي عبر مداخل عدة منها: التاريخية، والإقليمية، والوظيفية، وعلوم الاجتماع والإنسان الاجتماعي(Anthropology) وبعد ذلك يترجمون تلك المداخل إلى مجموعة كبيرة من المفهومات تتضمن تحديد شكل وجود الدولة السياسي وحدود علاقتها في محيطها الحيوي، وآليات تشكيل تحالفاتها والبحث عن توفير مواردها وأسواقها وكيفية تأمينها، وهكذا تتجاوز صورها حدودها الطبيعية التي تحدده مفهومات الجغرافية السياسية ضمنها إلى حدودها السياسية المتوسعة أيضاً، وتفسيرها لا يتحقق إلا في سياق تشكيل خططها الاستراتيجية والدفاعية التي انتجتها في أنماط عمل فكرية مؤثرة تظهر في تفاعلاتها الخارجية[١].

وبناء عليه نعني بالجيوبوليتيك :"السياسة المتعلقة بزحزحة الحدود الرسمية للدولة وبسط النفوذ في أي مكانٍ تستطيع الوصول إليه بدافع الارتباط الديني أو المذهبي أو العرقي أو القومي"[٢].وفي المقابل هناك من يعرفها :" أنها دراسة آثار جغرافية الأرض على السياسة والعلاقات الدولية من خلال السعي للسيطرة على المناطق الجغرافية ذات الأهمية الدولية والعالمية، واستخدام هذه المناطق لتحقيق مكاسب ومزايا سياسية، فتطور الدولة ونموها وارتقائها يرتبط ارتباطا وثيقا بالعوامل الجغرافية"[٣]، ومن هذا المنطلق تؤدي الجغرافيا(Geography) منذ القِدم دورًا رياديًا لفهم مسار الظواهر التاريخية في بعدها الزمني ومجالها الجغرافي بوصفها سياقا في تحديد نمط سلوك الوحدات السياسية من خلال نظرة تأخذ بمفهوم الجيوبوليتيك لتكوين رؤية تمكنها لاستشراف أفضل لآفاق تطوير التصورات والأفكار للقادة ولتشكيل المفاهيم الجديدة للدور الذي ينبغي أن تضطلع به دولتهم والمكانة التي ينبغي أن يأخذها مجتمعهم في علاقته ببقية الوحدات السياسية المجتمعات، سواء في زمن الحرب أو في أوقات السلام. إذ لاحظ (أرسطو طاليس) قديمًا أهمية الجغرافيا في علاقتها بالسياسة فقام بدراسة البيئة أو المحيط الطبيعي من حيث تأثيره في الطبيعة البشرية والضرورات الاقتصادية والعسكرية للدولة النموذجية، فقد كان الفضاء الفيزيائي أساسًا لتفكيره ذاك، وهو ما فعله(هيرودوت-Herodotus) أيضًا أكبر مؤرخي اليونان القديمة [٤].

---

[١] فراس عباس هاشم، **استعصاءات الجغرافيا : روسيا واختراق المخيال الجيوبوليتيكي لمساحة الفضاءات العالمية، (الأردن : شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع ، ٢٠٢٢)**، ص ٢٩.

[٢] احمد بن ضيف الله القرني ، "الأزمة الروسية– الأوكرانية.. زلزال جيوسياسي يضرب أوروبا"، **المعهد الدولي للدراسات الإيرانية** ، ٢٠٢٢/٣/١٤، شوهد في ٢٠٢٢/٤/٧، في: https://rasanah-iiis.org

[٣] زياد زكريا ، " الأزمة الروسية – الأوكرانية وعودة الاعتبار لـ "الجيوبوليتيك"، **موقع مجلة السياسة الدولية** ، ٢٠٢٢/٣/١، شوهد في ٢٠٢٢/٤/٦، في : http://www.siyassa.org.eg/Index.aspx

[٤] جلال خشيب ،"الجيوبوليتيك في القرن الحادي والعشرين : انتصار الجغرافيا وعودة عالم ثيوسيديدس"،**المجلة العربية للعلوم السياسية** ، العدد (٤)،(٢٠٢١)، ص ٨٨.

ومن زاوية أخرى يلاحظ أن ثمة فهم خاص لعامل الجغرافيا يمكن أن يتولد عند مرحلة تاريخية، حيث لم يستبعد الواقعيون الجدد أيضًا عامل الجغرافيا في تحديد مصائر الدول والشعوب عبر التاريخ في حركتها وتوجهاتها، فقد أشار(روبرت غلين-Robert Glenn) إلى أن عملية السيطرة على الأراضي وتوزيعها كانت – ولا تزال - الآلية الأساسية التي حكمت توزيع الموارد النادرة بين الدول في النظام الدولي، لذلك كان التغيير السياسي الدولي في تشكله وفي تحولاته التي تتسم بالتكرار والاستمرارية مسألة إعادة توزيع للأراضي بالدرجة الأولى بين المجموعات أو الدول في أعقاب الحروب التاريخية الكبرى، ذلك ما جعله يرى أن الجغرافيا كانت ولا تزال آلية التنظيم المركزية للحياة الدولية. آخذاً في ذلك بأهمية الحدود الجغرافية في صوغ السياسات الخارجية للدول والكيانات السياسية عبر التاريخ، إذ تسهل طوبوغرافية الأرض(*) (topographic)، وجود الماء، المناخ التفاعلات بين هذه الكيانات أو تعيقها، في لحظة انتاج نفسها وصوغ تصوراتها عن ذاتها وعن الآخر(٥).

ولقد دفعت هذه التمثلات والطروحات الفكرية في إعادة بناء صورة معرفية جديدة في منهجها القائم على استنطاق حقل الجغرافيا، أنتجها (روبرت كابلان-Robert S. Kaplan) برؤية فكرية تكمن في أن يجعل من الجغرافيا متحكمًا رئيسيًا في السلوك الخارجي للدول، فهي التي تفرض توجهًا بعينه على دولة ما وتمنعه عن أخرى، إذ يقول:" من الممكن أن تكون الجغرافيا كاشفة عن النيات بعيدة المدى لحكومة ما بنفس القدر الذي تكشفه مجالسها السرية، إن موقع دولة ما على الخريطة هو أول ما يحددها بصورة أكثر حتّى من الفلسفة الحاكمة لها"(٦).

وهكذا أصبحت روسيا في مخاض عملية البحث عن الذات التي لا تخلو من نزاعات بين فئات سياسية بمختلف توجهاتهم ،تقدم للروس هوية روسيا ما بعد (الاتحاد السوفييتي) السابق وخاصة في مجال السياسة الخارجية(*) وفي ظل بيئة إقليمية ودولية تعصف بها تطورات جذرية يتعذر على روسيا درء عواقبها ما لم يكن لروسيا هوية ما بعد(الاتحاد السوفييتي)السابق(٧).وقد وجدت روسيا في مقاربات النظرية الأوراسية وما يصاحبها من أبعاد جيوبوليتيكية في بنائها الفكري وخصائصها

(*) الطبوغرافيا هي :" علم يختص في تمثيل تفاصيل الظواهر الطبيعِية أو الاصطناعية لمنطقَة ما موجودة على سطع الأرض و هذا بأشكال ورسوماتَ مميزة ، يتم ذلك من واقع نتائج محصل عليها ميدانيا و هو ما يطلق عليه بعمليةِ الرفع ، أو إسقاط و تمثيل المشاريع على الميدان من خلال مخططات مرسومة سابقا أو ترسم لهذا الغرض كما تسمى هذه العملية بالتوقيع الخرائطي". نقلا عن: طبوغرافية، **موقع المعرفة** ، شوهد في ٢٠٢٢/٤/١٧، في: https://www.marefa.org

(٥)جلال خشيب ، **مصدر سابق** ، ص ص ٨٨– ٨٩.

(٦) نقلا عن : المصدر نفسه ، ص ١٠٥.

(*) يعرف (حامد ربيع) السياسة الخارجية بأنها :" جميع صور النشاط الخارجي، حتى ولو لم تصدر عن الدولة كحقيقة نظامية، إن نشاط الجماعة كوجود حضاري أو التعبيرات الذاتية كصور فردية للحركة الخارجية تنطوي وتندرج تحت هذا الباب الواسع الذي نطلق عليه أسم السياسة الخارجية". أما (أحمد نوري النعيمي) فإنه يعرفها: " إن السياسة الخارجية لأي دولة تعكس وجود عملية ديناميكية تأخذ في الاعتبار المصلحة القومية والظروف البيئية الدولية، والتي تترجم إلى واقع ملموس ومن خلال الأداة الدبلوماسية ". مثنى علي المهداوي ، **السياسة الخارجية : دراسة نظرية عامة** ، (بغداد : مركز النهرين للدراسات الاستراتيجية ، ٢٠٢٠)، ص ص ١٤–١٥.

(٧) فراس عباس هاشم ، **مصدر سابق** ، ص ٢٩.

المتمثلة في مرجعيات حضارية وثقافية وسياسية محمولات دلالية في شق طريقها نحو التموضع المكاني في جوارها الجغرافي محمولة بدلائل ذات صيغة لبناء التواصل الاستراتيجي مع قوى الجوار الأرضي في مناطق الاتحاد السوفيتي السابقة التي تجعلها ضمن حدود مطامحها الحيوية إلى جانب تأثير موقعها في زخم ساحات التنافس الجيوبوليتيكية وتشابكها في خضم تسارع وتيرة التحولات على الساحة الدولية.

وبناء عليه في إطار التوجهات الجديدة للاستراتيجية الروسية باتجاهاتها الجيوبوليتيكية وديناميكياتها التوسعية التي تستوعب مجالاً واسعاً تتجاوز المجال الجغرافي بوصفها مظهراً للتحول والتغير، أضحت منطقة أوراسيا(Eurasia) هدفا لتوجهات روسيا الخارجية في ظل قوة خطابها الجيوبوليتيكي في مجال تعزيز وجودها في المنطقة والتي أصبحت تعني الكثير بالنسبة لها في توسيع حركتها الاقتصادية، وكان المنطلق الأساسي لتلك التحركات للنتائج المتمخضة عن التمثلات التي وضعها (هالفورد ماكندر- Halford Mackinder) في محاضرته بعنوان "نقطة الارتكاز الجغرافي للتاريخ" في العام(١٩٠٤) نظرية "قلب الارض"(Heartland) والتي ترى أن قلب العالم يتمثل في منطقة أوراسيا، وأنها تمنح الدولة التي تسيطر عليها القوة الاقتصادية والجغرافية اللازمة للسيطرة على العالم كله، في ظل ما تمتلكه من موارد اقتصادية كبيرة [٨]. ويؤكد (ماكندر) على أن الوضع الجيوبوليتيكي الأفضل لكل دولة هو الوضع المتوسط المركزي، والقارة الأوراسية تقع في مركز العالم ويقع في مركزها قلب العالم، وهو تجمع الكتل القارية لأوراسيا، وهذا الجسر الجغرافي الأكثر ملاءمة للسيادة على العالم بأسره [٩].

وعلى المنوال نفسه نسج (فريدريك راتزل-Friedrich Ratzel) مسوغات أطروحة مؤسسة ومفعلة لسلوك الدولة الخارجي، تفضي إلى ضرورة أن تتجاوز الدولة حدودها وتخترقها كلما اقتضت مصلحتها التوسع ،وهو ما جعل روسيا في إطار منافستها الإقليمية والعالمية لإعادة بناء نظام دولي متعدد الاقطاب تعتمد على هذه النظرية بشكل كبير في سياستها مع دول أوروبا الشرقية، فهي تعتبر جمهوريات الاتحاد السوفييتي السابقة امتداد حيوي لها وتدخل في إطار مجالها الطبيعي، ويبرز هذا بشكل واضح في تحركاتها السياسية[١٠].ويبدو لنا حسب هذا المنظور أن المحاور الجيوبوليتيكية تتمثل في أن أهميتها لا تنبع من قوتها أو من الحوافز التي تثيرها بل من موقعها الحساس الذي يعطيها دورا مميزاً -وهو ما يتكرر

---

[٨] المصدر نفسه ، ص ٦٧.

[٩] شروق مستور ،" البعد الجيوبوليتيكي والديني للصراع الأمريكي الروسي"، **مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات** ، ٢٠٢٢/٢/٢٨ ، شوهد في ٢٠٢٢/٤/٩، في: https://fikercenter.com/2022/02/28. لقد آمن (ألكسندر دوغين– Aleksandr Dugin) بالأوراسية الجديدة كعقيدةٍ تحمل خلاصًا لكلّ المشاكل التّي تُعانيها روسيا، بل خلاصًا لكلّ مشاكل الإنسانية، بذات الشكل الذي آمن به أتباع الماركسية أو الماوية... إلخ، بقدرة هذه العقائد على فعل ذلك، بل وادّعى أنّ الأوراسية الجديدة ستكون العقيدة القائدة في المستقبل والتي ستجعل من روسيا قوةً عظمى، ومع هذه النبوءة آمن (دوغين) بأن الأوراسية ينبغي أن تكون بمثابة الأنوار الشمالية للرئيس (فلاديمير بوتين– Vladimir Putin) ومساعديه، التي ستساعده جنبًا إلى جنبٍ مع القادة العالميين، على صوغ وتشكيل إمبراطوريةٍ أوراسيةٍ، كما أنّه آمن بقدرة النظام الحالي على أن يكون خارطة طريقٍ لتجديد الشباب الروسي. جلال خشيب **مصدر سابق** ، ص ١٠٢. وللمزيد حول هذ الموضوع وحيثياته انظر : ألكسندر دوغين ، **الخلاص من الغرب : الأوراسية الحضارات الأرضية مقابل الحضارات البحرية والأطلسية**، ترجمة : علي بدر، (بغداد : مكتبة دار ألكا، ٢٠٢١).

[١٠] شروق مستور، **مصدر سابق** .

اليوم مع الجيوبوليتيك الأوكراني- إما في السماح بالوصول إلى مناطق ذات أهمية أو في إعاقة الوصول إلى الموارد بالنسبة للاعب دولي مهم[١١].

وتماشيا مع ما تم ذكره صممت الاستراتيجية الروسية في إطار يعكس التحول في رؤية الروس لأمنهم بالدلالة الجيوبوليتيكية والذي يعكس أهم محاور الدولة الروسية من خلال التركيز على عملية التوضيح والتحشيد الذي تشارك فيه الدولة والفئات ومراكز القوى والإعلام، فالثقافة الجيوبوليتيكية للإمبراطورية الروسية ومن بعدها(الاتحاد السوفييتي)السابق أفرزت مواقف عند صناع القرار الروس والجسد السياسي الاعتيادي الروسي من قضايا: ما هو وضع أو منزلة الدولة أو الأمة في العالم؟ وما هو الإطار الثقافي الجامع للدولة؟ أي هل أن روسيا تمثل جزء من الغرب أم إنها تنتمي إلى الشرق أو آسيا، وما هي قوة الدولة بالمقارنة مع القوى الأخرى، أي هل تحتفظ روسيا بترسانتها النووية وتحسنها أم تأخذ بسياسات نزع سلاح تتواءم مع مصالحها؟ إن الثقافة الجيوبوليتيكية الروسية الجديدة تبقى مغروسة في الإمبراطورية الروسية وإرث(الاتحاد السوفييتي) السابق[١٢].

وفي ضوء ما تقدم يمكننا القول تسعى روسيا إلى بناء واقع إقليمي جديد مع محيطها الجغرافي وإثبات ذاتها وفق صورة رسمتها لنفسها، وأحاطت بها مشروعها الحضاري في مجال استراتيجيتها في الغايات والأهداف وأولوياتها الجيوبوليتيكية وتقرنها بمرجعيات ثقافية وامتداد تاريخي، ولذلك تسعى إلى تبني استراتيجية وقائية لتدعيم أمنها وردع التهديدات الاستراتيجية القادمة في إطار توسع حلف شمال الاطلسي وهذا ما اثبتته العديد من الأحدث التي شهدتها دوائر دول الجوار المتاخمة.

---

[١١] نبهان زمبور السعدي ،" الأهمية الجيوسياسية للجمهورية الأوكرانية من منظور التنافس الروسي والأمريكي –الأوروبي"، **مجلة آداب الفراهيدي** ، العدد (٢٧)،(٢٠١٦)، ص٢٣١.

[١٢] كاظم هاشم نعمة، **روسيا في السياسية الآسيوية ما بعد الحرب الباردة**،(عمان: دار آمنة للنشر والتوزيع ،٢٠١٣)،ص١٢.

المحور الثاني
خرائط التصورات الروسية لبناء الجغرافية التاريخية وفضاءاتها

مما لاشك فيه منذ زمن ثيوسيدايدس وابن خلدون مر العالم بتحولات عديدة، وعرف تعاقب كيانات سياسية مختلفة الطبيعة والتكوين، بفعل عدة عوامل تهمنا الجغرافيا منها أساسًا، لكن وبالرغم من كل هذه التحولات تظل الجغرافيا بمثابة القانون الأكثر ثباتًا والعامل الأكثر حسمًا في تحديد التفاعلات القائمة فيه، لقد انتقلت مراكز الحضارة من العالم القديم إلى العالم الجديد بعد حملة واسعة من كشوف جغرافية غيرت وجه التاريخ، وبرزت منذ مراكز قوى جديدة، كما بإمكانها أن تنتقل مستقبلً إلى نطاقات جغرافية أخرى، وبخاصة تلك التي تتمتع بسهولة الاتصال بموارد الطاقة والاقتصاد المهمة أكثر من غيرها، أو تلك التي تتمتع بكفاءة أعلى من غيرها في استخدام تلك الموارد، فلمثل هذه المناطق احتمالات البقاء وبسط النفوذ أو السعي إليه مقارنة بالمناطق الأخرى [١٣].

ومن هنا يمكننا القول حظى عامل البناء المكاني باهتمام الفكر السياسي للفلاسفة الروس وقدم هؤلاء اطروحات ومقاربات استراتيجية واضحة عن روسيا باعتبارها حضارة مستقلة من حيث المعايير والقيم الثقافية والدينية والروحية والاجتماعية [١٤]. وهي عبارة عن مضمرات في الرؤية تكشف علاقة روسيا بالفضاء المكاني وتحديداً الفضاءات الحيوية، فهي تحاول تحصين ذاتها بتكوين تصوراً لهذا الفضاء على إنه فضاء كبير مما يحمل في طياتها امتدادها الثقافي في الجمهوريات السوفيتية السابقة، إذ تحاول أن تؤسس من خلال الترويج والتسويق لتاريخها بإعادة التموضع الجغرافي وصياغة سياسة تعود بالفائدة والمنفعة بحيث تتحول لخطاب ثقافي وتجسيداً للغة ترويجية تاريخية وفكرية تتجلى في عبارة :" بأن روس هي قوة كبرى أو عظمى هو أساس كل العمليات الاجتماعية التي تحدد المضمون والمحتوى الرئيسي للمجتمع الروسي الجيوبوليتيكي والاجتماعي" [١٥].ولهذا يلاحظ أن الفضاء الذي تقصده روسيا ويشكل أساس تاريخياً للجيوبوليتيك الروسي هو الفضاء المتشبع بالمعنى بل بالعديد من المعاني وعندما يصل الوضع إلى العلاقات بين الشعوب والأمم والثقافات بل ويصل في بعض الأحيان إلى الصدمات العسكرية فهنا يكون
للمعنى المكاني كلمة قوية وذات دلالات جغرافية[١٦].

ولهذا يتبين لنا في ظل التطورات التي شهدتها البيئة الإقليمية والدولية تبلورت الاستراتيجية الجديدة التي يقوم عليها حلف شمال الأطلسي(NATO) على أساس الاضطلاع بمهمة العمل على تعديل مجال نفوذه التقليدي وإعادة التمركز نحو فضاءات حيوية جديدة خارج نطاقة الجغرافي تؤهلها بان تتفوق من الناحية الاستراتيجية بشكل يمنحها القدرة من أجل تقويض دور وفاعلية روسيا الإقليمية من خلال إيجاد تحالفات استراتيجية تعزز مصالحها.

---

[١٣] جلال خشيب ، **مصدر سابق** ، ص ٩٥.

[١٤] الكسندر دوغين ، **جغرافية السياسة في روسيا** ، ترجمة : عاطف معتمد ، سعد خلف ، وائل فهيم ، (القاهرة : المركز القومي للترجمة ، ٢٠٢١)، ص ١٥٩.

[١٥] المصدر نفسه ، ص ٢١٢.

[١٦] المصدر نفسه ، ص ٢٢١.

وعلى هذا الأساس ترتكز الاستراتيجية الروسية بإعادة ترسيم مجالات نفوذها الجيوبوليتيكية التقليدية وتوسيعها في سياق دالة استحضار خبرات التاريخ في استخلاص دروس مستفادة لتوجيه السياسة الحالية بغض النظر عن الاختلاف في السياقات أو تفاوت حسابات التكلفة والعائد للسياسات بين الماضي والحاضر، وهو ما يعني وجود نزعة لتقديس التاريخ واعتباره المحرك الأساسي للسياسة [١٧]، وتقرنه روسيا في التعبير عن كينونتها التسويغية في حركة توسعها ضمن آفاق إنتاج طروحات جيوبوليتيكية جديدة، مستشهده بمقولة رسمتها سردية قائلة: "إن الإنسان يصنع التاريخ ليس كما يرغب أو وفق لسياقات يحددها بنفسه، وإنما في ظل ظروف موجودة مسبقاً ومعطيات الماضي بحيث يكبل إرث الأجيال الراحلة نظرائهم الأحياء"، بتعبير (كارل ماركس-Karl Marx)، وبناء على ذلك يقوم صانعو القرار باستدعاء الأحداث والخبرات التاريخية المشابهة للمواقف والظواهر التي يتعرضون لها في الوقت الحاضر ستفتح آفاقا وامكانات جديدة، تستنطق منظومتها الفكرية في تشكيل الذهنية الاستراتيجية وإرساء رؤية و مقاربات جديدة تحتوي على بعد تاريخي كاشفة عن تصورات سياسات الذاكرة الوطنية (Memory Politics) من خلال توظيف خبرات الماضي الثابتة في الذاكرة الجمعية للمواطنين في الترويج لرؤى محددة وخيارات بعينها في السياسة الداخلية والخارجية، إذ إن تقدير الرئيس الروسي(فلاديمير بوتين- Vladimir Putin) لإرث الاتحاد السوفييتي ورغبته في إحياء مكانة روسيا كقوة عظمى، يعد المسوغ الأساسي للترويج للسياسات القومية داخلياً واتجاهات التمدد الخارجي ومحاولة بناء نظام متعدد الأقطاب على المستوى الدولي [١٨].

وفي ضوء ما تقدم نجد أن الطروحات الفكرية التي صاغها(فيدال لابلاش-Vidal Blach) (١٨٤٥ – ١٩١٨) في نظريته الجيوبوليتيكية " البوسيبيليزم"(Possible) وتعني "الممكن" كان لها أثرا في التصورات الاستراتيجية لـ (بوتين) ونظرته إلى علمية التوسع المكاني لروسيا ،ورأى فيها (لابلاش) إن التاريخ السياسي أفقان مكاني(جغرافي) وزماني (تاريخي)،إذ ينعكس العامل الجغرافي في الوسط المحيط ،أما التاريخي فينعكس في الإنسان نفسه صاحب المبادرة ،وهنا اقترح النظر إلى الوضع المكاني على إنه احتمال أو إمكانية يمكن أن تفعل لتغدوا عاملاً سياسياً حقيقياً، ويمكن أن لا تفعل وهذا ما يرتبط بشكل كبير بالعامل الذاتي أي الإنسان ساكن هذا المكان، فلا يمكن للعامل الجغرافي للدولة وحده أن يكون بمفرده لتفسير سلوكها الخارجي، وإنما يجب أن يضاف إليه دور الإنسان صانع القرار الذي له القدرة على جعل العامل الجغرافي فاعلاً أو غير فاعل لتكون بذلك "البوسيبيليزم" [١٩].

إلى جانب ما سبق ذكره، ارتكز جوهر الخطاب الروسي عن دوافع هذا التحرك تجاه أوكرانيا على منطق الجغرافيا السياسية، لإضاءة طموحات تغذيها توجهات إمبراطورية نحو تحقيق توسع جيوبوليتيكي تحت قناع القوة الحضارية لإعادة تنظيم نقاط الارتكاز المكانية لاسترجاع مجالاتها الحيوية وتعظيم مصالحه، فجاءت تصريحات (بوتين) التي عبر عنها في خطابة أمام مؤتمر ميونخ للأمن في العام عام (٢٠٠٧)، لتأكيد على ما رأى أنه تجاهل وانكاراً لمكانة روسيا وقوتها، بل يمكن القول إن التدخل الروسي في أوكرانيا يأتي متسقاً مع سياسة روسية تاريخية اعتمدتها في عصور الإمبراطورية وعهد (الاتحاد السوفييتي) السابق، تعتمد على وجود مناطق جغرافية "عازلة" على تخومها، تمثل حاجزاً أمام

---

[١٧] بسمة الاتربي ، عقد التاريخ : مداخل تشكيل الماضي لتوجهات السياسة الخارجية ، مفاهيم المستقبل، **مجلة اتجاهات الأحداث** ، العدد (٢٥) ، (٢٠١٨)، ص١٠.

[١٨] المصدر نفسه ، ص ١١.

[١٩] نوار محمد ربيع الخيري ، **مبادئ الجيوبوليتيك** ،(بغداد : دار ومكتبة عدنان ، ٢٠١٤)، ص ٦٩.

الخطر القادم من الغرب؛ وهي تتمتع اليوم بحق الرعاية عليها [٢٠]. وهذا ما أشار إليه (بوتين) بعد توليه الحكم في روسيا ليكشف عن رؤيته بسردية استرجاعية تاريخية توحي بوجود مسعى للتأثير في الجغرافية قائلا :" نحن قوة عالمية، ليس بسبب أننا نمتلك قوة عسكرية عظمى وقوةً اقتصادية محتملة، ولكن نحن كذلك لأسبابٍ جغرافيةٍ، سوف نظل موجودين ماديًا في أوروبا، وآسيا، في الشمال والجنوب، كما لنا في كل مكانٍ بعض من الاهتمامات والمخاوف". إذ اشار بخطابة الجيوبوليتيكي عن تاريخ أصيل للمكانة التي أولاها الروس وعلماؤهم الجيوبوليتيكيون لعامل الجغرافيا. فقد توارث الروس حبًّا قديمًا للأراضي تكون عبر التطور التاريخي في سياق ضمان "توسعِة الأمة الروسية". لهذا السبب، لم يكن من المستغرب أن يولي الفكر السياسي والجيوبوليتيكي الروسي أهمية خاصة لمسألة المجال(The Space)، كما ذهب الى ذلك (ليفاندوفسكي Lewandowski) برؤية وفق مؤشرات إعادة قراءة التاريخ لإنتاج الممارسة الملموسة للسلطة في روسيا قائلا:" أن جغرافيا السمات الوطنية الروسية - على غرار المجال ،الأرضي أو الروح الروسية - لا تعرف معنى للحدود[٢١].

علاوة على ذلك فإن الخطاب الروسي في تعامله مع أوكرانيا، لم يعتمد على مبررات الواقعية السياسية(Political Realism) فحسب، التي ترى أن دفاع الدولة عن أمنها القومي ومصالحها مبرر كاف لتفاعلاتها الدولية وقراراتها الخارجية بما في ذلك قراراتها العسكرية، بل أنه كان أقرب لمقومات الخطاب البنائي (Constructivism) الذي يهتم بالأبعاد غير المادية لفهم التفاعلات الدولية، فقد تعمد تضمين الأبعاد الثقافية والتاريخية في خطابه، وأولى لها اهتماماً خاصاً، وبالتوازي مع العمليات العسكرية والحروب الاقتصادية، ظهرت أبعاد أخرى من النزاع ذات صبغة ثقافية وتاريخية وهي الأدوات التي توظفها روسيا في هذا النطاق الجغرافي الحيوي[٢٢].وفي نطاق هذا السياق يعتبر الموقع الجغرافي من أهم العوامل الطبيعية التي تؤثر في تحديد قوة وسياسة الدولة الجيوبوليتيكية, وعلى الرغم من أن الموقع الجغرافي لأي منطقة على سطح الأرض ثابت لا يتغير إلا أن أهميته السياسية والاستراتيجية في تغير مستمر [٢٣].لا سيما أن الواقع الإقليمي اثبت عن وجود سياسات وسلوكيات تنتهجها أوكرانيا لأحداث تحولا في طبيعة علاقات التفاعلات الإقليمية وما يصاحبها من خيارات أو بدائل لتحقيق الأهداف الاستراتيجية للقوة المتنافسة تتولى وظيفة إعادة تأهيل مجالات التأثير السياسي في نطاقات النفوذ الروسي، وتمثلت بصياغة نمطية ترويجيه في التركيز على الانفتاح والتعاون مع دول الاتحاد الأوروبي وحلف الناتو وتفعيل نشاطها الأرضي داخل دوائر الفضاءات الحيوية لروسيا.

وتأسيسا على المعطيات السابقة تعد أوكرانيا مفتاحاً رئيسياً لروسيا في ممارسة النفوذ والسيطرة على دول الجوار الجغرافي المباشرة وإحياء حضارتها، خاصة مناطق نفوذها التقليدية التي يمكن من خلالها أحداث تحول جوهري في واقع المنطقة، من هذا المنظور تكمن أهمية أوكرانيا حيث باعتبارها أداة

---

[٢٠] كارن أبو الخير، توازنات جديدة: هل تمثل الحرب في أوكرانيا نقطة تحول في النظام الدولي، **انتريجونال للتحليلات الاستراتيجية** ، ٢٠٢٢/٣/١١ ، شوهد في ٢٠٢٢/٤/١٢ ، في :https://www.interregional.com

[٢١] نقلا عن :جلال خشيب ، **مصدر سابق** ، ص ١٠٠.

[٢٢] هالة الحفناوي ،"رواية "كييف روس": صراعات الهوية في الحرب الروسية الأوكرانية"، **المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة** ، ٢٠٢٢/٣/٩ ، شوهد في ٢٠٢٢/٤/١١ ، في :https://futureuae.com/ar-AE/Mainpage/Item/7148

[٢٣] نبهان زمبور السعدي ، **مصدر سابق** ، ص ٢٣١.

رئيسية لتحقيق فكرة "الأمة الروسية الكبيرة"، عبر تموقعها في السيرورة الحضارية كجزء من الجغرافية الروسية [٢٤].

ومن خلال ما سبق يتضح أن لأوكرانيا ميزات ذات أهمية جيوبوليتيكية واستراتيجية مهمة لروسيا, وعلى هذا النحو فهي تعتبر بمنزلة منطقة نفوذ تقليدية، تتوافق مع أدبياتها وأيديولوجيتها بناءً على التراكمات التاريخية، لذلك تحاول روسيا بذل اقصى ما في وسعيا لتعزيز مجال نفوذها في الأراضي المجاورة لمحيطها وترسيم حدود مجالاتها الأرضية كتعريف على مركزيتها الحضارية، تجاه المناطق المتاخمة لحدودها التي يتحدث سكانها بلغتها ويعتنقون ديانتها، وبالتالي يسمح لها بالحفاظ والتحكم في المنطقة المركزية لأوراسيا[*]، إضافة إلى ذلك تنظر روسيا دوما إلى أتحاد الجمهوريات المستقلة بوصفه نطاق نفوذ روسي خالص لا يجب التنازع فيه مع روسيا من قبل أي طرف دولي آخر[٢٥].

المحور الثالث
اتجاهات تأثير محاور النمو الروسي وسياقاتها على النظام الدولي

من نافلة القول طرأت بوادر تغيير على النظام الدولي الذي تأسس منذ الحرب العالمية الأولى، والذي ترسخ بشكله السياسي والأمني والاقتصادي الحالي بعد الحرب الباردة، في الوقت الذي تعددت فيه القوى الدولية والمؤثرة في التوازنات الاستراتيجية وحازت على مقاعد رئيسة على طاولة صنع القرار العالمي. واليوم تسعى القوى الطموحة إلى ضبط قواعد اللعبة الاستراتيجية في النظام الدولي بالطريقة التي تخدم مصالحها، مستغلة حالة الفوضى المنتشرة في مختلف أنحاء العالم بطرق مختلفة على(شكل صراعات مسلحة أو احتجاجات شعبية أو يمين متطرف أو شعبوية صاعدة)[٢٦].

مقابل هذا التصور تشير الدلائل المتاحة إن الانتقال في التفكير الجيوبوليتيكي، جعل منظري العلاقات الدولية ينطلقون في تحليلهم تجاه التطورات الأخيرة في النظام الدولي من منطق أن نظرية العلاقات الدولية منذ القدم هي صنيعة الأزمات والتحولات الكبرى في العالم لكونها تستند إلى معطيات مادية، وهكذا فإن التنظير لا ينشأ في الفراغ بأي حال، ومع ذلك فإن هذا التطور يرتبط بسياقات ضاغطة تدفع الباحثين والخبراء لإعادة إنتاج أطر نظرية ومفاهيم قادرة على استيعاب الواقع الجديد(New Realities

---

[٢٤] "مواجهة العجز: اتجاهات تقرير ميونخ للأمن العالمي في عام ٢٠٢٢"، **انترر يجونال للتحليلات الاستراتيجية** ، ٢٠٢٢/٢/٢١، شوهد في ٢٠٢٢/٤/١٢، في: https://www.interregional.com

[*] تتجاوز أوراسيا، نطاق هيمنة الاتحاد السوفيتي السابق، لتشمل المساحة الجغرافية الممتدة عر قارتي آسيا وأوروبا، والتي تعبر عن "الإقليمية الآسيوية – الأوروبية" (Asian – European Regionalism)، والروابط الاقتصادية بين دول القارتين التي تجعل من أوراسيا قارة كبرى لا تخضع لمعايير الحدود السياسية التقليدية بين القارات . للمزيد ينظر : منى مصطفى، "عودة أوراسيا: تجدد الاهتمام الأكاديمي بالترابط الجغرافي بين أوروبا وآسيا "،**أوراق أكاديمية** ،العدد (٦) (٢٠١٩)، ص٣.

[٢٥] نبهان زمبور السعدي ، **مصدر سابق** ، ص ٢٣٨.

[٢٦] فراس عباس هاشم ،" أثر متغير الطاقة في توجهات السياسة الروسية تجاه منطقة شرق المتوسط (دراسة في الدوافع والتحديات)"،**مجلة النهرين**، العدد(٧)،(٢٠١٩)، ص٨٤ .

) من خلال نظريات جديدة(New Theories) تقوم بوظائف الوصف والتفسير والتنبؤ في إعادة تشكيل النظام العالمي [٢٧].

من هذا المنطلق، يكمن جوهر الإدراك الجيوبوليتيكي الروسي في تغيير الآليات الدولية التي تحكم حركة التفاعلات الدولية وإعادة تشكيلها بالشكل الذي يحظى بالقبول والتأييد والتركيز على المشاركة والتحالف والثقة المتبادلة، من خلال إعادة تقييم الترابطات مع محيطها الخارجي خاصة القوى الآسيوية من دول الجوار القريب لروسيا والتحالفات الاستراتيجية مع القوى الآسيوية الكبرى ولعل أهمها الصين[٢٨]،ولذلك هذا الفهم يمكن أن يعزى بصورة مباشرة إلى الرؤى الجيوبوليتيكية الروسية كمعطى أن قوة روسيا وتصوراتها الاستراتيجية الكبرى كانت قد ارتبطت من قبل دومًا بالسيطرة على مساحة جغرافية واسعة، سمحت بالوصول إلى إدراك مفهوم تاريخي في توجهاتها ونظرتها إلى المجال الجغرافي إذ يتحدث بعض المؤلفين عن حب الروس القديم للأراضي الذي تشكل عبر التطور التاريخي في سياق ضمان توسعة الأمة الروسية في بعدها الزمني ومجالها الجغرافي[٢٩].فأي تحولات أو تغيرات أو تحديات أو تفاعلات في ساحات المواجهة الجيوبوليتيكية التي تعتبرها روسيا مجالاً حيويا مهماً لها ومنها الفضاء الأوكراني، ستؤدي إلى توسع نطاق الفضاءات المفتوحة للمواجهة وبالنتيجة من شأن هذا الأمر دفع روسيا إلى إعادة هيكلة علاقاتها مع الدول الأخرى، وبناء استراتيجيات جديدة توهلها للتغيير والتكيف مع التطورات الإقليمية، من خلال إرساء رؤية ومقاربة جديدة في تعريف مصالحها والحفاظ عليها.

ضمن نفس السياق تسعى روسيا لإثبات نفسها بوصفها لاعباً فعالاً على رقعة الجغرافيا السياسية والجيوستراتيجية عالمياً وإقليمياً في منطقة كثيراً ما عدت ضمن المجالات الحيوية للأمن القومي الروسي، وبالتالي في ظل حق السيادة وحماية الأمن القومي، بتطلب بناء استراتيجيات جديدة تؤهلها للتغير والتطور لإثبات ذاتها، فاذا تم تهديد هذه المصالح بشكل فعلي، ابتداء من التشكيك في قيمتها وأهدافها، فإن روسيا وجدت نفسها مضطرة للتدخل في أوكرانيا بهدف اجهاض محاولات كهذه بارتكازها على الشعور التاريخي لإثارة الوجدان الوطني، في خطوة عدها الخطاب الروسي ضربة استباقية، في إطار استراتيجية هجومية لتوجيه الرؤية والخطاب الروسي نحو ثقافة جديدة تعتمدها القيادة الروسية وتتبناها لحماية المصلحة الوطنية، ضمن سياسة قديمة تسلكها بأثارة المشاعر العاطفية لبعث الحركية داخل المجتمع نحو استعادة نفوذها

على مجالاتها الحيوي[*] سواء من خلال السيطرة المباشرة على مساحات الأرض كما برز في حروب أوسيتيا الجنوبية عام(٢٠٠٨) أو ضم ضبه جزيرة القرم عام (٢٠١٤) أو إعادة فرض الهيمنة كما برز في تأسيس منظمة معاهدة الأمن الجماعي عام (٢٠٠٢) والاتحاد الاقتصادي الآوراسي عام (٢٠١٤) في آسيا الوسطى أو خلق حكومات موالية لروسيا كما حدث في كازاخستان في (٢٠٢٢) أو بيلاروسيا عام

---

[٢٧] فراس عباس هاشم ، **مصدر سابق** ، ص١٣.

[٢٨] طارق محمد ذنون الطائي ، **الفكر الاستراتيجي الروسي في القرن الواحد والعشرين (دراسة تحليلية في ضوء الوثائق الرسمية الروسية)**،(عمان : شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع ، ٢٠١٦)، ص ١٠.

[٢٩] جلال خشيب ، " الجيوبوليتيكا الروسية الحديثة والمعاصرة بين النظرية والتطبيق " ،**مجلة رؤى تركية** ، العدد (٢) ،(٢٠١٨)، ص ٩٩.

(٢٠٢٠) [٣٠].وعلى وفق ذلك، ربما يمكن القول إن (بوتين) لم يخف رغبته في استعادة المكانة الروسية في النظام الدولي، واستحضر أدوات عديدة لتحقيق ذلك الأمر، البعض منها عسكري عبر ضمان السيطرة على مناطق النفوذ الحيوي لروسيا، والبعض الآخر وثيق الصلة بما يعرف بـــ"النموذج الروسي"، والذي ينطوي على قيم الوطنية والمسيحية الأرثوذكسية ليعطي بذلك أهمية للمواقع المقدسة الأرثوذكسية الروسية، وعدها من أدوات تأكيد الدور الروسي، وبموازاة ذلك، صاغ (بوتين) شكلًا مختلفًا للديمقراطية، حيث باتت الديمقراطية الروسية تعني "قوة الشعب الروسي بتقاليده الخاصة للحكم الذاتي، وليس الوفاء بالمعايير المفروضة على روسيا من الخارج" [٣١] .

ومن الواضح هنا تدلل البنية الجيوبوليتيكية الجديدة التي تحددها حركية الحدث الأوكراني على الطبيعة المعقدة للنظام الدولي الذي تتقاطع فيه قضايا لم تحسَم منذ حقب زمنية مضت في إطار التراكم التاريخي، أي أن لها مسوغاتها ومظانها المتعلقة بالبيئة الاستراتيجية، مع تطلعات الأطراف الفاعلة إلى موقع ومكانة في نظام جديد لا يزال قيد التشكيل، ومع أن التعقيد صفة للنظام الدولي في كل العصور، فقد وصل إلى درجة تكاد تكون غير مسبوقة في المرحلة الحالية من العلاقات الدولية؛ فبالإضافة إلى ما تشهده من تحولات في موازين القوة بين أطرافه الرئيسية، هناك كثافة وتنوع في أنماط التفاعل، ودرجة كبيرة من الاعتماد المتبادل فيما بينها؛ ما يجعل كل الخيارات صعبة؛ فاستمرار الاعتمادية المتبادلة يمثل نقطة ضعف، في حين أن فك هذا الارتباط يترتب عليه تكاليف باهظة [٣٢].

وفي هذا السياق يمكن القول إن تطورات الأحداث التي رافقت التحرك الروسي في أوكرانية ، قد كشفت عن تحولات انتقالية في هيكلية النظام الدولي، تفرضه رؤية صانع القرار الروسي بإضفاء مسحة تحديثية على المنطقة في ظل مساعيها لفرض ذاتها على نحو منفرد، إذ لم تعد الولايات المتحدة هي القطب الأوحد في العالم، التي تفرض قواعده، بل باتت هناك قوى أخرى لها مجال حيوي تسعى للدفاع عنه من خلال أداء يجعلها تحمل مهمة الحفاظ على تأمين مصالحها ضمن نطاق هذا الجال المكاني[٣٣].ومن هنا يتبين لنا في ظل حالة عدم اليقين في المشهد العالمي، أصبحت الدول تسعى لإعادة ترتيب مواقفها في كيفية مواجهة التحديات الأمنية العالمية، وإعادة النظر في سياستها والإقليمية في

---

[*] يعرف (سيار كوكب الجميل) مفهوم المجال الحيوي بأنه :" النطاق الاستراتيجي أو الحيز الجغرافي الخصب الجاذب للقوى الدولية دوماً ليس في التحرك والتفاعل فحسب، بل في ترسيخ جملة من الأساليب والنظم والمنظومات والارتكازات". فيما يعرف قاموس (وبستر) المجال الحيوي بأنه :" الاتساع الذاتي الاقتصادي لأرض الدولة أو المجال المطلوب للمجتمع أو مؤسسة أو منظمة لغرض الحياة أو الإقليم الضروري للوجود". نقلا عن : عمر كامل حسن ، **المجالات الحيوية الشرق أوسطية في الاستراتيجية الإيرانية**، (بيروت : الدار العربية للعلوم ناشرون ، ٢٠١٥)،ص ٢٥.

[٣٠] احمد ناجي قمحة، "الأزمة الأوكرانية : صدام الأرادات .. مخاض نظام عالمي جديد"، **مجلة السياسية الدولية** ، العدد (٢٢٨)،(٢٠٢٢)، ص ٨.

[٣١] فراس عباس هاشم ،" أثر متغير الطاقة في توجهات السياسة الروسية ...، **مصدر سابق** ، ص ٨٨ .

[٣٢] كارن أبو الخير ، **مصدر سابق** .

[٣٣] شادي عبد الوهاب ، خطوط حمراء: انعكاسات العمليات العسكرية الروسية في أوكرانيا على النظام الدولي ، المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة ، ٢٥ /٢/ ٢٠٢٢، شوهد في ٢٠٢٢/٤/١٣، في: https://futureuae.com/ar-AE/Mainpage/Item/7105

مسارح المواجهة الجيوبوليتيكية، ولهذا كانت التحركات الروسية لمواجهة منافسيها الاستراتيجيين في المجالات المكانية الحيوية، سيكون له انعكاساته على مستقبل القوى النظام الدولي وتكريس نموذج متعدد للفواعل الدولية، على نحو يجعلها تفرض قواعد جديدة تخدم أهدافها القومية.

الخاتمة

وفي ضوء ما تقدم تكشف طبيعة التحركات الروسية في ظل وجود سياق صراعي- تنافسي في جوارها الجغرافي عن ملامح نقطة تحول في التوجهات الاستراتيجية تجاه مجالاتها الحيوية من خلال التفكير في أبعادها الجيوبوليتيكية، بل تنحو إلى أبعد من ذلك وبخاصة تلك الموضوعات المرتبطة بالحضارة والثقافة الروسية وعلاقاتها بدول الجوار الجغرافي، ومسوغ ذلك أدراكها إنها لاتزال تحتل أهمية متزايدة في أدراكات القوة الدولية والإقليمية، تختزلة في التغييرات التي أخذت حيزاً متزايداً من الاهتمام الروسي مع اتساع مساحة نفوذ حلف الناتو والتي أفرزت واقعاً جديداً في جوارها المكاني والمرتبط بسياق إظهار النفوذ الجيوبوليتيكي على حسابها، مما يشكل عامل ضغط عليها، والذي أصبح المعطي الذي على أساسه تحركت من خلاله روسيا تجاه أوكرانيا، سعياً منها لتوسيع دائرة سيطرتها في نطاق فضاؤها الجغرافي، بحيث تندمج في تصور مستند بنية دفاعية على وجه التحديد ضمن الأطر الأساسية للاستراتيجية الروسية في استعادة دورها العالمي. وبناء عليه ستؤدي هذه التطورات إلى تحولا أساسيا في طبيعة المتغيرات التي تتسم بها هذه المعطيات في مختلف أبعادها وبخاصة في الفضاء الأوكراني، وما تؤدي إليه في بعض منطلقاتها لخلق مناخاً ملائماً لملامح الانتقال في النظام الدولي بمعادلة جديدة، وما تطرحه من بزوغ دول عظمى جديدة على الساحة الدولية.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الكتب العربية والمترجمة

-ألكسندر دوغين، **الخلاص من الغرب : الأوراسية الحضارات الأرضية مقابل الحضارات البحرية والأطلسية**، ترجمة : علي بدر،(بغداد : مكتبة دار ألكا، ٢٠٢١).

، جغرافية السياسة في روسيا ، ترجمة : عاطف معتمد ، سعد خلف ، وائل فهيم ،(القاهرة : المركز القومي للترجمة ، ٢٠٢١).

-طارق محمد ذنون الطائي، **الفكر الاستراتيجي الروسي في القرن الواحد والعشرين (دراسة تحليلية في ضوء الوثائق الرسمية الروسية)**،(عمان : شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع ، ٢٠١٦).

-عمر كامل حسن ، **المجالات الحيوية الشرق أوسطية في الاستراتيجية الإيرانية**، (بيروت : الدار العربية للعلوم ناشرون ، ٢٠١٥).

-فراس عباس هاشم، **استعصاءات الجغرافيا : روسيا واختراق المخيال الجيوبوليتيكي لمساحة الفضاءات العالمية**، (الأردن : شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع ، ٢٠٢٢).

-كاظم هاشم نعمة، **روسيا في السياسية الآسيوية ما بعد الحرب الباردة**،(عمان: دار آمنة للنشر والتوزيع ،٢٠١٣).

-مثنى علي المهداوي ، **السياسة الخارجية : دراسة نظرية عامة** ، (بغداد : مركز النهرين للدراسات الاستراتيجية ، ٢٠٢٠).

-نوار محمد ربيع الخيري، **مبادئ الجيوبوليتيك** ،(بغداد : دار ومكتبة عدنان ، ٢٠١٤).

ثانياً: المجلات والدوريات

-احمد ناجي قمحة، "الأزمة الأوكرانية : صدام الارادات .. مخاض نظام عالمي جديد"، **مجلة السياسية الدولية** ، العدد (٢٢٨)،(٢٠٢٢).

-بسمة الاتربي، عقد التاريخ : مداخل تشكيل الماضي لتوجهات السياسة الخارجية ، مفاهيم المستقبل، **مجلة اتجاهات الأحداث** ، العدد (٢٥) ، (٢٠١٨).
-جلال خشيب، " الجيوبوليتيكا الروسية الحديثة والمعاصرة بين النظرية والتطبيق "،**مجلة رؤى تركية** ، العدد (٢) ،(٢٠١٨).
،"الجيوبوليتيك في القرن الحادي والعشرين : انتصار الجغرافيا وعودة عالم ثيوسيديدس"،**المجلة العربية للعلوم السياسية** ، العدد (٤)،(٢٠٢١).
-فراس عباس هاشم، " أثر متغير الطاقة في توجهات السياسة الروسية تجاه منطقة شرق المتوسط (دراسة في الدوافع والتحديات)"،**مجلة النهرين**، العدد(٧)،(٢٠١٩).
-نبهان زمبور السعدي ،" الأهمية الجيوسياسية للجمهورية الأوكرانية من منظور التنافس الروسي والأمريكي –الأوروبي"، **مجلة آداب الفراهيدي** ، العدد (٢٧)،(٢٠١٦).

ثالثا: المواقع الإليكترونية
-احمد بن ضيف الله القرني، "الأزمة الروسية- الأوكرانية.. زلزال جيوسياسي يضرب أوروبا"، **المعهد الدولي للدراسات الإيرانية** ، ٢٠٢٢/٣/١٤، شوهد في ٢٠٢٢/٤/٧، في: https://rasanah-iiis.org
-زياد زكريا، " الأزمة الروسية - الأوكرانية وعودة الاعتبار لـ "الجيوبوليتيك"، **موقع مجلة السياسة الدولية** ، ٢٠٢٢/٣/١، شوهد في ٢٠٢٢/٤/٦، في : http://www.siyassa.org.eg/Index.aspx
-شروق مستور،" البعد الجيوبوليتيكي والديني للصراع الأمريكي الروسي"، **مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات** ، ٢٠٢٢/٢/٢٨ ، شوهد في ٢٠٢٢/٤/٩، في: https://fikercenter.com/2022/02/28
-كارن أبو الخير، توازنات جديدة: هل تمثل الحرب في أوكرانيا نقطة تحول في النظام الدولي، **انتريجونال للتحليلات الاستراتيجية** ، ٢٠٢٢/٣/١١ ، شوهد في ٢٠٢٢/٤/١٢ ، في : https://www.interregional.com
-هالة الحفناوي ،"رواية "كييف روس": صراعات الهوية في الحرب الروسية الأوكرانية"، **المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة** ، ٢٠٢٢/٣/٩ ، شوهد في ٢٠٢٢/٤/١١ ، في : https://futureuae.com/ar-AE/Mainpage/Item/7148
-"مواجهة العجز: اتجاهات تقرير ميونخ للأمن العالمي في عام ٢٠٢٢"، **انترر يجونال للتحليلات الاستراتيجية** ، ٢٠٢٢/٢/٢١، شوهد في ٢٠٢٢/٤/١٢، في: https://www.interregional.com
-شادي عبد الوهاب، خطوط حمراء: انعكاسات العمليات العسكرية الروسية في أوكرانيا على النظام الدولي، المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة ، ٢٥ /٢/ ٢٠٢٢، شوهد في ٢٠٢٢/٤/١٣، في: https://futureuae.com/ar-AE/Mainpage/Item/7105
-طبوغرافية ، موقع المعرفة ، شوهد في ٢٠٢٢/٤/١٧، في: https://www.marefa.org